نحو معجم للشخصيات السردية في التراث الحكائي

(المعايير الضابطة)

Towards a Dictionary of Narrative Characters in the Narrative Heritage

(Control standards)

إعداد

Prepared by

الستاذ المشارك الدكتور ـ لؤي علي خليل

A.Prof.Dr. Luay Ali Khalil

قسم اللغة العربية/ جامعة قطر

Department of Arabic Language / Qatar University

loui.khalil@qu.edu.qa

باحثة مساعدة: روعة الغرسي

Assistant Researcher: Rawaa El Gharsi

المستخلص:

يفتقر السرد الحكائي العربي (قديمه وحديثه) إلى معجم للشخصيات السردية المتخيلة يجسر الفجوة المعرفية القائمة في المدوّنة السردية العربية، ويمكن أن ينبني عليه قدر كبير من الدراسات التي تتعلق بالوظائف السردية، وبالدلالات الثقافية للشخصيات، ومدى ارتباطها بالأنواع الأدبية أو المجتمعات العربية، ودراسات تتعلق بتطور الشخصيات السردية في المتون الحكائية العربية، وطبيعة المخيال السردي العربي وحدوده ومعاييره، إلى آخر ما هنالك من دراسات لا حصر لها.

ولسد هذا الفراغ المعرفي رأينا من المهم، قبل صناعة المعجم، الحرصُ على مجموعة من الشروط؛ بحيث يستطيع المعجم أن يؤدي الخدمة المتعلقة به، ويقدم معلوماتٍ دالةً عن الخصائص التي تميز الشخوص على مستوى الشكل الخارجي، وعلى مستوى الأبعاد الداخلية_ إن وجدت_ وكذلك دور الشخصيات في الحكايات، والحيّز المكاني الذي تظهر فيه، والحيّز الزماني، وثقافة الشخصيات وموقعها في مجتمع العالم النصي، وخصائصها اللغوية، فذلك من شأنه أن يحقق– عند اكتمال المعجم وتراكم الشخصيات– مؤشراتٍ مهمةً تؤدي إلى معرفة حقيقية بالشخصيات السردية للنص المدروس وللمدونة السردية كاملة. وهذا ما دفعنا إلى وضع عدد من المعايير، نسعى من خلالها إلى الاقتراب قدر المستطاع من التحقق الأمثل لتلك الشروط.

الكلمات المفاتيح: معجم/ شخصيات/ حكايات/ تراث/ معايير

Abstract:

Arab narrative narration (ancient and modern) lacks a dictionary of fictional narrative characters that can bridge the knowledge gap that exists in the Arab narrative code. By formulating such a dictionary, a large amount of studies can be built upon it. These studies are related to the narrative functions, the cultural connotations of characters, the extent of their association with literary genres or Arab societies, the development of Narrative characters in the Arabic narrative texts, the nature of the Arab narrative imagination, its limitations and its criteria, to the latest of countless studies.

In order to fill this cognitive gap, the researchers believe that, before making the dictionary, a set of conditions should be available in order that the lexicon can perform the service related to it, and provide important information about the characteristics that distinguish people at the level of the external appearance, and on the level of internal dimensions - if any - as well as the role of characters in tales, the spatial space in which they appear, the temporal space, the culture of characters and their location in the textual world community and its linguistic characteristics. This would achieve - upon completion of the dictionary and the accumulation of

characters - important indicators that lead to real knowledge of the narrative characters of the text studied and the narrative code in full. This is what prompted the researchers to set a number of criteria, through which we strive to get as close as possible to the optimal verification of these conditions.

Keywords: Dictionary/Characters/ Heritage/Tales/Standards.

مقدمة

قليلة هي الثقافات التي حظيت بمُدوّنة سردية حكائية كتلك التي حظيت بها الثقافة العربية الإسلامية، سواء من جهة الكم أو من جهة النوع، بل حتى من جهة المكانة التي تحظى بها (الحكايات) في بنية الثقافة نفسها؛ فالحكاية لازمت العربي قرونًا قبل الإسلام، ورافقته ولا تزال قرونًا بعد الإسلام؛ ويمكن القول إن عمر الحكاية العربية حتى الآن يكاد يتجاوز ستة عشر قرنًا من الزمان أو يزيد.

تحضر الحكاية في قصص العرب الجاهلية وفي أمثالهم وفي أيامهم وفي تاريخهم، تحضر في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، فتنال بهما صبغةً إسلاميةً تنقلها خارج الخصوصية العربية، وتفتح لها بابًا نحو أعراق ولغات أخرى استوعبها الإسلام تحت مظلته، ثم تحضر الحكاية في نصوص خواص الثقافة العربية الإسلامية كما تحضر في نصوص عوامهم، تحضر في الثقافة المركزية كما تحضر في الثقافة الهامشية، والأمثلة على ذلك تكاد لا تنتهي؛ ابتداءً من (خُفّي حنين) و(زرقاء اليمامة) مرورًا (بالبخلاء) و(المقامات) و(ألف ليلة وليلة) وحكايات الموريسكيين وملاحمهم، وصولًا إلى ما تبثّه الحياة اليومية المعاصرة من قصصٍ وحكايات تنوّعَت أشكالُ تَبدِّيها النوعِية.

غير أن هذا التنوع وذلك الغنى اللذين حظيت بهما الحكاية في الثقافة العربية الإسلامية لا يزالان بحاجة إلى من يكشف أسرارهما، فيوغل في مجاهل جغرافية الحكاية ليكتشف زواياها التي لم تطأها قدم بعد، ويسلط الضوء على ما حُجب منها واختبأ، فلا تزال الحكاية العربية تنتظر (علي بابا) ليفتح كثيرًا من مغاراتها

السحرية بكلماته العجيبة: (افتح يا سمسم.. افتحي يا حكاية)، فعلى الرغم من الكثرة الكاثرة من الدراسات التي جعلت المدوّنة الحكائية ميدانًا لتطبيقاتها لا تزال الحكاية تنتظر مزيدًا من الاهتمام ومزيدًا من العمل.

لعل من أهم المساحات المعرفية التي لا تزال الحكاية تنتظر من يكشفها ما يتعلق بشخصياتها السردية المتخيلة، فشخصيات مثل (**السعلاة، والغول، وعيسى بن هشام، وكليلة، ودمنة، وعلي بابا، وجحا، وعلاء الدين، والسندباد، وعلي الزيبق، والأميرة ذات الهمة**) كلها شخصيات مركونةٌ على رفوف الحكايات يعلوها الغبار والصدأ، خَدَمَتنا ولم نخدِمها، سحرَتنا أطفالًا وكبارًا، وشغلت لياليا وأحلامنا، ولكننا مع ذلك لم نولها الاهتمام الذي تستحقه، بل لم ننظّمها على نحو يساعدنا ويساعد الأجيال القادمة من أبناء الثقافة العربية الإسلامية على فهمها تنظيمها.

آيةُ ذلك أننا لا نكاد نجد ما يعين على تشكيل تصورٍ واضحٍ لآلية عمل تلك الشخصيات وأمثالها في الحكايات، وكيفية اشتغالها السردي، وبنائها، وطبيعة وظائفها وأدوارها في النصوص السردية، وما الثابت منها وما المتحول، وما الأساسي وما الثانوي، وما علاقتها بالوظائف والأدوار المعروفة في الدراسات السردية، من جهة التشاكل أو حتى من جهة الاختلاف. كل هذه الأسئلة لا تزال تنتظر إجاباتٍ علميةً مُمَنهجةً تساعد أبناء الثقافة العربية الإسلامية على استيعاب الدور الحقيقي الذي أدته هذه الشخصيات في مدوّناتهم الحكائية التي كانت، وستكون دائمًا، عنصرًا من عناصر تشكيل وعيٍ نسقيٍ ثقافيٍ ضمنيّ يمثل عاملًا مشتركًا لأبناء الثقافة العربية الإسلامية.

والقصد من هذا الكلام أن المدوّنة الحكائية في التراث العربي تفتقد **معجمًا يهتم برصد الشخصيات السردية في نصوصها**، معجمًا يخدم الدارسين والمهتمين والقراء في مجال السرديات التراثية والمعاصرة؛ ويقدم لهم تصورًا واضحًا عن طبيعة الشخصيات السردية في المدوّنة الحكائية التراثية، ويمنحهم معرفةً واضحةً عن الدور البنيوي للشخصيات، ضمن كل نص سردي، ولا يقتصر دوره على وصف الشخصيات كما ظهرت في النصوص (على مستوى الشكل وعلى مستوى الحامل الفكري)، بل يقدم معرفةً منهجيةً علميةً بتلك الشخصيات. وهذا يقتضي أمرين؛ وضع هيكل بنيوي للوظائف السردية للشخصيات، في النص المعنى بالدراسة، وتقديم تصور وافٍ عن كل شخصية، يحقق للمتلقي (دارسًا أو كاتبًا أو باحثًا) معرفةً تفصيلية بطبيعة الشخصيات، يمكن أن تُؤسَّسَ عليها تصوراتٌ معرفية أو بحثية للسرد العربي.

الأسبقية

ولعل أول من اهتم بوضع معجم للشخصيات السردية هو الناقد الروماني فاليريو كريستا، وذلك في كتابه (معجم شخصيات ديستويفسكي) الذي صدر في ثمانينيات القرن العشرين، وضم نحو (500) مقالة تتناول (650) شخصية لخمس روايات من أعمال ديستويفسكي، حاول من خلالها أن يكشف عن أدوار الشخصيات، الرئيسة منها والثانوية، وأن يحلل العلاقات والصراعات التي تربطها بعضها ببعض، وأن يبين وجهة النظر السردية التي عُرضت من خلالها. وقد أفرد للشخصيات الرئيسة خمسين صفحةً من كتابه، وخص الشخصيات الثانوية بمقالات علمية صغيرة.

ويبدو واضحا من عمل الناقد كريستا أن كتابه أقرب إلى الدراسات النقدية منه إلى المعجم؛ لأنه يقدم وجهات نظر تجاه الشخصيات مبنيةً على دراسات سابقة، أو على دراسات خاصة به، إذ درس الشخصيات من خلال خمسة محاور، تبدأ بالسيرة العاطفية للشخصيات، ثم صفاتها وحركتها بين محوري الشر والخير، ثم صفاتها التي ترتكز على فلسفة ديستويفسكي، وركز عل البعد الفكري/الأيديولوجي للشخصيات، وبحث أخيرًا عن مرجعياتها الواقعية التي كانت سببا وراء ظهورها الفني (كوفاج،2017)، وبذلك يكون مراده من المعجم بخلاف مرادنا من المعجم الذي نقصده، غير أننا قد نشترك معه في مسألة تحديد طبيعة الشخصيات من جهة دورها الرئيس أو الثانوي، فهذا مطلب أساسي لأي معجم يسعى لتأطير الشخصيات السردية وبيان وظائفها في النصوص.

ولا نعدم وجود عدد محدود من الدراسات العربية التي عنيت بموضوع معجم الشخصيات السردية، ولكنها يممت وجهها شطر النصوص الحديثة دون القديمة، ونحت منحى غير الذي نقصده، مثل كتاب مصطفى بيومي؛ (معجم شخصيات نجيب محفوظ) الذي صدر عن دار شروق، 2015م، وشمل ألفا وسبعمئة واثنين وأربعين شخصية روائية وقصصية، بعد استبعاد كل الشخصيات التي لا اسم لها، أو الشخصيات التي ظهرت عرضيّا على نحو أدنى من أن يعد ظهورًا ثانويًا، ورتب بيومي المعجم ترتيبا ألفبائيا، وقسّم شخصيات محفوظ إلى أنماط ثلاثة، رئيسة ومساعدة وهامشية، ودرس طبيعتها والعلاقات القائمة بينها.

أما كتابه الآخر (معجم شخصيات موسم الهجرة إلى الشمال)، الذي صدر عن دار بورصة الكتب للنشر والتوزيع، 2016م، فتحدث فيه عن صفات الشخصية وعالمها وحياتها وتأثرها بالشخصيات الأخرى، وتأثيرها

فيهم، وحلل في مقدمته قضايا الرواية التي أبرزتها هذه الشخصيات، وما قدمه الكاتب عبر هذه الشخصيات ليعالج تلك القضايا. ويقع معجمه هذا في مئة وعشرين صفحة، رتب فيها الشخصيات ترتيبا أبجديًا.

وتعد هاتان الدراستان بمنزلة دراسات **نقدية تحليلية** لشخصيات الأعمال الروائية المعنيّة، آثرت ضم الشخصيات ضمن ترتيب ألفبائي على نحو معجمي، وعلى ذلك فهي ليست متوناً معجمية ذات معايير سردية، بل هي دراسات نقدية مطوّلة عن كل شخصية روائية، ضُمت بعضها إلى جانب بعض، وبذلك تشبه دراسات الناقد الروماني كريستا التي ضمها كتابه السابق (معجم شخصيات ديستويفسكي). غير أن ذلك لا يمنع القول إنها دراسات مهمة وجديرة بالتقدير، لأنها تغطي مساحةً معرفيةً مهمة في الشخصيات السردية.

وثمة دراسة أخرى قدمها سيف المحروقي بعنوان (نماذج إنسانية في السرد العربي القديم)، صدرت عن هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث عام 2010، وتقع في نحو (312) صفحة، وخصها الكاتب لدراسة ثلاثة نماذج إنسانية في السرد العربي، هي (البخيل والمكدّي والبطل)، وخص كل واحد منها بفصل مستقل، فدرس في الفصل الأول نموذج البخيل، فتناول مفهوم البخل، ثم "تعرض للبخل في الكتاب والسنة، وفي التراث العربي القديم، ثم تحدث عن أشهر مؤلفات البخل، ومصادر الجاحظ في تشكيل نموذج البخيل في كتاب البخلاء، [وحلل] نفسية البخيل من خلال عدة مواقف، ثم تعرَّض لملامح البخيل الخَلقية والخُلقية، وللغة نموذج البخيل، وموقف الجاحظ من نموذجه، وأخيرا توظيف نموذج البخيل" (المحروقي،2010: 9). وفعل مثل ذلك في الأنموذجين الآخرين.

غير أن الإجراءات المنهجية التي اتبعها المحروقي تشي بأن دراسته لا تهتم بالشخصيات في تبدّيها النصي الفردي، بقدر اهتمامها بالأنموذج الكلي (النمطي) الذي تنضوي تحته الشخصيات، فأنموذج البخيل يحتوي قدرًا كبيرا من الشخصيات، لها أدوارها المختلفة، وخصائصها السردية المتباينة، وأوصافها الجسمانية والنفسية والفكرية الخاصة، ولذلك فإن دراسته لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها السابقات، من حيث أنها أقرب إلى الدراسة النقدية منها إلى المعجم.

وثمة دراسة لا نرى بأسًا من ذكرها في هذا الحيز، على الرغم من ابتعادها عما نحن بصدده، وهي الملحق الذي أضافه طه الحاجري إلى تحقيقه لكتاب (البخلاء) للجاحظ، فقد أردف التحقيق بفصل أسماه (تعليقات وشروح) (الجاحظ،1990: 245–438)، ومضى فيه يشرح بعض ما غمض من شخصيات، أو

أماكن، أو كتب، مرت في متن كتاب الجاحظ، فقد رأى بعض من حدثناه من الباحثين بشأن المعجم أن الحاجري صنع ما يشبه صنيعنا، فاقتضى الأمر الإشارة إلى أن الحاجري كان يشرح بعض ما التبس في متن الجاحظ، ولم يخصص صنيعه لشخصيات النص السردية، وحتى تعليقاته على شخصيات من مثل (الكندي، أو ابن غزوان، أو الحارثي) لم تكن تعليقاتٍ مبنيةً على معايير تتعلق بطبيعة الشخصيات السردية، ولم تراع أي وجهة نظر فنية، بل اتجهت في جُلّها إلى ترجمة الرجال المعنيين، وتبيان مكانتهم بالقياس إلى الجاحظ، وبالقياس إلى الثقافة العربية الإسلامية، وهي كما يظهر من سياق الكلام شخصيات حقيقية كان قد أدرجها الجاحظ في متونه القصصية عن البخل.

وكانت تعليقات الحاجري تسير على غير نسق واحد، بحسب مقتضى الشخصية التي يترجم لها، فقد يستغرق في الترجمة صفحات عدة كما هو الحال مع الحسن البصري (الجاحظ،1990: 272–275)، وقد يستغرق ما لا يزيد عن سطر واحد في ترجماته، كما هو الحال مع شخصية (فائد بن حبيب) (الجاحظ،1990: 433). وقد أسدى في صنيعه هذا إلى قراء البخلاء خدمةً مهمة في ترجمة الرجال الذين أشار إليهم الجاحظ في كتابه، غير أن هذه التراجم لا صلة لها بصناعة معجم سردي للشخصيات السردية المتخيلة لا من قريب ولا من بعيد، وهي لا تعدو أن تكون استكمالاً لعمله في تحقيق كتاب البخلاء.

ويمكن أن نذكر في هذا السياق دراسة أخرى قد توحي بأن لها تعلقًا ما بما نحن بصدده، وهي القاموس الذي أنجزه أندرو ديلاهونتي وزميلاه، تحت اسم (قاموس الإحالات الضمنية)، وصدرت طبعته الإنجليزية الثانية عام 2005، وصدر بالعربية عن المركز القومي للترجمة عام 2014، بترجمة أيمن حلمي وزميليه، إذ سعى مؤلفو هذا الكتاب إلى رصد "الشخصيات والأحداث والحكايات والعبارات، وحتى بعض الكلمات التي تميزت بما يكفي وترسخت في الوعي الجمعي بما يكفي لتستخدم إحالة ضمنية في الثقافة الإنجليزية" (ديلاهونتي،2014: 9)، والمقصود من الإحالة الضمنية هو أن يرد "اسم شخص حقيقي أو حادثة تاريخية أو شخصية أدبية لا كإشارة مباشرة... ولكن لكي [تستدعي] بعض المعاني الإضافية التي تمثل بعض الصفات أو الخصائص التي صارت الكلمة رمزا لها" (ديلاهونتي،2014: 13). فمراد القاموس هو الكشف عن الإحالات الثقافية المتضمنة في النصوص (جرائد، كتب، روايات، قصص، شعر.. إلخ)، لتسليط الضوء عليها وشرح الحاجة التي دفعت النص إلى استثمارها الثقافي. وهذا المقصد بعيد عن مقصدنا من معجم

الشخصيات السردية، فالمعجم ليس حفرًا في الإحالات الثقافية المتضمنة في النصوص فحسب، كما أنه ليس عملاً تفسيريا محضًا، بل هو عمل دقيق في مجال محدد يتعلق بالشخصيات الفاعلة في النصوص لا الشخصيات الإشارية أو الإحالية، كما أنه ليس شرحًا للشخصيات، بل هو عمل نقدي ذو طابع معجمي يقوم على رصد بنية الشخصيات الظاهرة والضمنية ووظائفها السردية والحكائية بالإضافة إلى إحالاتها الثقافية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول باطمئنان إن السرد الحكائي العربي (قديمه وحديثه) بحاجة ماسة إلى معجم للشخصيات السردية المتخيلة يجسر الفجوة المعرفية القائمة في المدوّنة السردية العربية، ويكون عونا للدارسين والمهتمين على حد سواء، ويمكن أن ينبني عليه قدر كبير من الدراسات التي تتعلق بالوظائف السردية، وبالدلالات الثقافية للشخصيات، ومدى ارتباطها بالأنواع الأدبية أو المجتمعات العربية، ودراسات تتعلق بتطور الشخصيات السردية في المتون الحكائية العربية، وطبيعة المخيال السردي العربي وحدوده ومعاييره، إلى آخر ما هنالك من دراسات لا حصر لها.

معايير صناعة المعجم

ولسد الفراغ المعرفي الذي تكلمنا عليه رأينا من الوجاهة، أثناء صناعة المعجم، الحرصُ على مجموعة من الاشتراطات؛ بحيث يستطيع المعجم أن يؤدي الخدمة المنوطة به، ويقدم معلوماتٍ دالةً عن الخصائص التي تميز الشخوص على مستوى الشكل الخارجي، وعلى مستوى الأبعاد الداخلية_ إن وجدت_ وكذلك دور الشخصيات في الحكايات، والحيّز المكاني الذي تظهر فيه، والحيّز الزماني، وثقافة الشخصيات وموقعها في مجتمع العالم النصي، وخصائصها اللغوية، فذلك من شأنه أن يحقق- عند اكتمال المعجم وتراكم الشخصيات- مؤشراتٍ مهمةً تؤدي إلى معرفة حقيقية بالشخصيات السردية للنص المدروس وللمدونة السردية كاملة.

وهذا ما دفعنا إلى وضع عدد من المعايير، نسعى من خلالها إلى الاقتراب قدر المستطاع من التحقق الأمثل لتلك الاشتراطات، فأخذَت هذه المعايير بعين التقدير طبيعةَ الشخصيات الخارجية (هيئتها)، والداخلية (أخلاقها وطباعها)، والانتماء الجغرافي والعرقي والديني، ثم علاقة الشخصيات بالحكاية، من جهة زمن ظهورها الحكائي أثناء التسلسل الحكائي، ووظائفها، وكذلك السمات اللغوية والأسلوبية للشخصيات، وثقافتها، فصنعنا اثني عشر معيارا مستقلًا.

المعيار الأول

يهتم المعيار الأول **بتوثيق الشخصية**، وذلك عبر ثلاثة مرتكزات: اسم الشخصية الذي ظهرت به في النص (عيسى بن هشام في المقامات) أو لقبها الذي اشتهرت به (السندباد البحري في ألف ليلة وليلة، أو الزيبق في السيرة الشعبية)، واسم النص الذي ظهرت فيه، على أن يدرج اسم النص على نحو يتدرج من العام إلى الخاص؛ فلو ظهرت شخصية في مقامة من المقامات فلابد من الإشارة إلى كتاب المقامات المقصود واسم المقامة بعينها: (مقامات الهمذاني/المقامة البغدادية)، وأخيرا يشار إلى رقم الصفحة وطبعة الكتاب.

ويعد هذا المعيار مدخلاً أساسيًّا لأي شخصية، فبه تتحدّد على المستوى الإنساني، وعلى المستوى الجغرافي للخارطة الأدبية التجنيسية للنصوص، ومن خلاله أيضا يستطيع أي باحث التوصّل إلى مجموعة من المعارف تتعلق بإمكانية اشتراك أي شخصية في أكثر من نص، أو إمكانية اشتراك أكثر من شخصية في نص واحد، وهو الغالب الأعم.

توثيق الشخصية	
اسمها/لقبها	أبو الفتح الإسكندري
النص	مقامات الهمذاني/ المقامة القريضية
الطبعة والصفحة	طبعة الانتشار العربي، 2016، ص9-13

المعيار الثاني

يُميز هذا المعيار بين أنواع الشخصيات الحقيقية والخيالية، والبشرية وغير البشرية؛ فالشخصيات الحقيقية هي التي لها وجود عياني في التاريخ خارج النص الحكائي، والشخصيات المتخيلة هي التي يصنعها الخيال الأدبي، وفي حال ثبت أن الشخصيةَ المعنيّة شخصيةٌ حقيقية خارج أسوار النص فإن المعجم يشير إلى ذلك بتعبير: (شخصية حقيقية)، وإذا كانت الشخصية متخيلةً أو تعذر معرفة وجودها العياني خارج النص يشار إلى طبيعتها (المتخيلة) ريثما يثبت العكس.

ويلاحِظ هذا المعيار، أيضا، طبيعة الشخصيات من حيث إنها بشرية أو فوق بشرية، متعيّنة أو لغوية، حية أو مادية، وذلك بالاستناد إلى إشارة فيليب هامون في التطويرات التي أدخلها إلى مفهوم الشخصية (هامون،2013: 31)؛ فقد تكون الشخصية بشرية، كما هو الحال في معظم الحكايات، وقد تكون من الحيوانات، كما هو الحال في قصص (كليلة ودمنة)، وقد تكون الشخصية فوق بشرية (آلهة الأساطير/ المردة/ الجن)، وقد تكون شيئًا ماديًا يؤدي وظيفة سردية محددة؛ مثل بساط الريح في حكايات ألف ليلة وليلة، وقد تكون غير متعيّنة أو غير محددة في الحكاية، ووجودها وجود لغوي فحسب؛ كما هو الحال في (المقامات) أو نصوص ا(لبخلاء)؛ إذ ترد بعض الشخصيات على أنها: (رجل)، أو (امرأة)، أو (بعض التجار)، فالشخصية هنا بشرية حية، ولكن لا يمكن الجزم بحقيقتها أو تخيلها، ولذلك رأينا أن نضيف إلى صفاتها أنها شخصية ذات حضور لغوي غير متعيّن.

ويتعامل المعجم مع الشخصيات الحقيقية في النصوص الحكائية تعامله مع الشخصيات المتخيلة (البشرية وغير البشرية)، من حيث إخضاعها إلى باقي المعايير، خلا أنه يضيف إلى تعامله مع هذه الشخصيات ترجمةً موجزةً جدًا تبين موقع الشخصية من التاريخ، وتُوَثّق هذه الترجمات بالاستناد إلى كتب التراجم المعروفة.

وتتضح فائدة هذا المعيار من أنه يظهر حجم الشخصيات الحقيقية في النصوص الحكائية بالقياس إلى حجم الشخصيات المتخيلة فيها، وفي ذلك ما فيه من فائدة تتعلق بضبط المحمولات التي يتكئ عليها المخيال العربي، وضبط درجة الالتباس الحاصل بين الواقعي والمتخيل، والوقوف على المساحة التي يسمح المخيال لنفسه أن يتحرك فيها عندما يتعلق الأمر بالشخصيات الحقيقية.

وقد لاحظنا، على سبيل المثال، أن نصيب الشخصيات الحقيقية من الحضور في حكايات (البخلاء) للجاحظ_ وهو الكتاب الذي أجرينا عليه أول تجارب المعجم_ كان كبيراً بالقياس إلى العدد الكلي للشخصيات؛ فقد "بلغ عدد الشخصيات الحقيقية (82/ اثنين وثمانين) شخصية من أصل (189/ مئة وتسع وثمانين) شخصية؛ أي بنسبة تصل إلى نحو ثلاث وأربعين بالمئة (43%) من المجموع الكلي للشخصيات، وهي نتيجة على درجة عالية من الأهمية، إذ من الممكن القول: إن المجتمع الذي عبر عنه الجاحظ في (بخلائه) هو مجتمع الواقع بكل حقيقته؛ فما يزيد عن ثلث الشخصيات كان من تلك الحقبة الزمنية التي

عاشها الجاحظ. وبذلك يؤصل الجاحظ للبخل في المجتمع، على نحو يجعله ظاهرةً اجتماعيةً تستحق التفكر والمساءلة" (الغرسي،2019: 158).

ويفيد هذا المعيار أيضا في ضبط الشخصيات التي تميل النصوص دائما إلى حرمانها من التعيين بمسمياتها، والاكتفاء بحضورها اللغوي، لمعرفة ما القاسم المشترك بين هذه الشخصيات، وضبط آليات تعامل النصوص مع مثل هذه الشخصيات الهامشية أو ما بعد الهامشية.

ويمكن أن يفيد هذا المعيار أيضا من خلال رصد الشخصيات (الحقيقية المتخيلة)؛ ونقصد بها الشخصيات التي لها حضور خارج النص، ولكن النص يستثمرها في أحداث تخييلية لم تقع على الحقيقة خارج إطار النص؛ مثل شخصية (عنترة) في السيرة الشعبية لعنترة العبسي؛ فعنترة شخصية تاريخية حقيقية عاشت في العصر الجاهلي، ولكن السيرة الشعبية تضع عنترة في مراحل زمنية تالية للعصر الجاهلي، وتنسب إليه خوارق لم تحدث على الحقيقة، وهي نتاج خيال الثقافة الشعبية، وكذلك الأمر بالقياس إلى شخصية (علي بن أبي طالب) في حكايات المغازي الموريسكية، فعلي بن أبي طالب صحابي معروف، وهو ابن عم الرسول ﷺ، وعاش في عصر صدر الإسلام، وحياته مؤرخة ومعروفة، ولكن الأحداث التي تنسب إليه في حكايات المغازي الموريسكية تقع خارج السيرة المعروفة له، وتقترن بكثير من العجائب.

وفي مثل هذه الحال المتعلقة بشخصيتي (عنترة العبسي) و(علي بن أبي طالب) تصنف هاتان الشخصيتان على أنهما شخصيتان حقيقيتان متخيلتان في آن معا.

نوع الشخصية	
متخيلة	متخيلة
حقيقية	حقيقية
	علي بن أبي طالب
لغوية	X
بشر/حيوان/شيء	بشرية

المعيار الثالث

يهتم المعيار الثالث **بالهيئة الخارجية للشخصيات؛** وينقسم إلى أربعة أجزاء؛ عُمر الشخصية الذي ظهرت به في النص، الصفات الجسمانية للشخصية، الملبس (طبيعة الملبس/ ثابت أو متغير)، وكذلك اسم المهنة أو العمل الذي نُسب إليها في النص، ومُتعلّقاته التي ارتبطت به في النص.

ويُؤمل من هذا المعيار أن يفيد في استخلاص ملاحظات عامة عن طبيعة الشخصيات التي تتفق في الوظائف؛ فإذا ما أسندت وظائف سردية بعينها إلى شخصيات ذات صفات جسمانية محددة كان لذلك دلالات تقتضي التوقف عندها، دلالة تتعلق بالأنساق الثقافية المضمرة للمجتمعات العربية، ودلالة ترتبط بآلية عمل الخيال العربي، وكذلك الأمر إذا ما ارتبط اسم معين أو مهنة معينة بشخصيات ذات صفات محددة؛ فمن ذلك أن قصص الاحتيال بقصد الكدية في مقامات الهمذاني أسندت كلها إلى الرجال الذكور، ولا مكان فيها للنساء، ومن ذلك أيضا أن (أبا الفتح الإسكندري) كثر منه الظهور في المقامات بملابس بالية، وذلك ليتناسب شكله مع حيلة التسوّل التي سيستعملها ليتوصل إلى ما بين يدي الناس من مال، كما يشير المعيار إلى التفاصيل والمتعلقات التي ترتبط ببعض الشخصيات دون غيرها، كارتباط الساطور باللحام، وارتباط المصباح بعلاء الدين، وارتباط العصا ببعض الشيوخ.

الهيئة الخارجية	
العمر	غير واضح، لكن الأحداث تدل أنه في عمر الرجولة
الجسم والملبس	ليس لجسمه صفة، ويرتدي إزارًا (ما يُشدّ على الوسط ويُسدل حتى القدمين)
المهنة	يبدو بلا مهنة
متعلَّقاته	لديه حمار، وعَقدٌ (كيس معقود يحوي نقودًا)

المعيار الرابع

يراعي المعيار الرابع **الهيئة الداخلية للشخصيات،** فيُوضّح ثقافة الشخصيات، ويهتم بأخلاقها وطباعها كما تظهر في النصوص، غير أن هذا الملمح يبدو ذا بعدين؛ بُعد يتّضح من سلوك الشخصيات أثناء حركة

الحكاية، وبُعد يظهر من خلال مواقف الشخصيات الأخرى منها داخل العالم الأدبي للحكاية، وبناء على ذلك رأينا أن نجعل المعيار الثالث في ثلاثة أقسام؛ قسم عن ثقافة الشخصيات كما تظهر في الحكاية (من حوارها، أو من تقديم السارد لها.. إلخ)، وقسم عن أخلاقها وطباعها كما يظهران من سلوكها وأفعالها، وقسم بتعلق بموقف الناس منها وسمعتها بينهم.

ويعين هذا المعيار في وضع تصوّرٍ عام عن البعد الداخلي للشخصيات، ومدى انسجامه مع الهيئة الخارجية لها، كما يعين على معرفة الطبائع المشتركة للشخصيات التي تؤدي وظائف سردية واحدة أو مشتركة، وكذلك يفيد لمعرفة التغييرات التي قد تطرأ على الشخصيات نفسها بين نص وآخر، أو بين عصر وآخر؛ فهل تبدو طباع (جحا) مثلًا واحدة عبر العصور، وهل بقي (حي بن يقظان) بذات الخصائص العقلية والأخلاقية في كل من نصوص ابن طفيل وابن سينا والسهروردي.

كما يفيد هذا المعيار في كشف التغيرات التي قد تطرأ على موقف المجتمعات النصية من شخصيات بعينها كلما تغيرت الأزمنة والأماكن، وفي ذلك ما لا يخفى من فائدة تتعلق بكشف التغيرات التي قد تطرأ على بنية التفكير العامة للثقافة المهمشة أو حتى المركزية.

الهيئة الداخلية للشخصية	
أخلاقه وطباعه	▪ رقيق الطبع: **(ودلّتنا عليها رقّة معانيه)** ▪ يحب ملازمة العلماء والاستزادة من خيرهم: **(فتعلّقتُ بذيوله[العالِم] بعد نزوله)** **(ففارقته متأسّفاً وودتُ لو أن كنتُ من لمى أفكاره مترشّفاً)**
ثقافته	عنده إلمامٌ ببعض العلوم الأدبية والعقلية التي تُمكنه من تمييز قدر الخطيب ومكانته: **(تأمّلتُ إليه لأستدلَّ عليه فإذا هو تاجُ الأدب، وسراجُ ذوي الإرب)**
سمعته بين الناس	لا ينطبق

المعيار الخامس

يُعنى المعيار الخامس **بزمان ظهور الشخصيات**، من جهة الوقت، ومن جهة الزمان الحكائي، فيُميز المعيار بين وقت ظهور الشخصية (صباحًا، ليلاً، ظهرًا/ يوم السبت/ أول الشهر/ أول السنة الهجرية.. إلخ)، والزمان الحكائي لظهور الشخصية (أول الحكاية، عند الوليمة، بعد ظهور المارد، قبل حل اللغز.. إلخ)، ففي كثير من نصوص المقامات، على سبيل المثال، يَظهر المُكدّي بعد صلاة الجمعة، وفي إطار الزمان الحكائي تظهر الشخصية المساعدة عند إعداد الوليمة.

وهذا المعيار مهم في تصوّر الفعل السردي؛ فمن خلاله يمكن إدراك الآلية التي تضبط العلاقة بين الوقت وظهور الشخصيات من جهة؛ (كعلاقة مصاصي الدماء بالليل، وكعلاقة المكدّين بمواعيد الصلاة)، وبين الزمن الحكائي وظهور الشخصيات أو غيابها من جهة أخرى؛ فكثير من الشخصيات يرتبط ظهورها في (البخلاء) بالمائدة، وتزول بزوالها، وفي (ألف ليلة وليلة) تظهر المردة أو الجن في الرحلات أثناء السفر. ولذلك تعد المعلومات التي يقدمها هذا المعيار على قدر كبير من الأهمية؛ لأنها تمكن الباحثين من معرفة بنية الثقافة التي أنتجت النص، من جهة وعيها لارتباط الزمان بظهور شخصيات بعينها، ولارتباط الشخصيات بتتابع أحداث معينة.

زمان ظهور الشخصية	
الوقت	بعد الظهر **(وَجَعَلْتُ لِلْدّارِ، حَاشِيَتَي النّهَار، وللحَانُوتِ بَيْنَهُمَا)**
التسلسل الحكائي	ظهر في أحداث الحكاية منذ أن اجتمع الناس في الحانوت وبقي إلى آخرها.

المعيار السادس

يهتم المعيار السادس بمكان الشخصية من جهة ظهورها ومن جهة انتمائها، ولذلك ينقسم إلى مكانين؛ وجهٌ مكاني يتعلق بالحيّزين العام والخاص اللذين ظهرت فيهما الشخصية، فيبدأ من تحديد المكان العام لظهور الشخصية (مدينة/ قرية)، ثم تحديد الحيز المكاني الخاص لظهورها (سوق/ مسجد/ بيت.. إلخ)، ووجه آخر يتعلق بتحديد المكان الذي تعود إليه أصول الشخصية (شامي مصري عراقي.. إلخ).

ولا تقل أهمية هذا المعيار عن سابقه، من جهة أنه يعين على إدراك الآلية التي تضبط العلاقة بين المكان وظهور الشخصيات (كعلاقة الجن بالأماكن الخربة)، والعلاقة بين انتماء الشخصية إلى مكان معين، واتصافها بخصائص سردية محددة (مثل ارتباط الشخصيات البخيلة بمدينة مرو في نص البخلاء، ومثل خروج الجن الذين حبسهم موسى عليه السلام من جرار مرمية في قاع إحدى البحيرات، كما جاء في رحلة الغرناطي). وعلى هذا تعد المعلومات التي يقدمها هذا المعيار على قدر من الأهمية؛ لأنها تمكن الباحثين من معرفة بنية الثقافة التي أنتجت النص من جهة وعيها لارتباط شخصيات معينة بأمكنة مخصوصة.

مكان الشخصية	
مكان الظهور	بغداد، عند سوق الكرخ
الانتماء الجغرافي	يبدو غريبًا عن بغداد من أهل القرى (يسوق بالجهد حماره، ويطرف بالعقد إزاره).

المعيار السابع

يتعلق هذا المعيار بانتماءٍ من نوع آخر غير الانتماء المكاني، وهو انتماء (العرق والدين)، فيرتبط الأول بأصول الشخصية (عربي/ فارسي/ رومي/ كردي.. إلخ)، ويرتبط الآخر بعقيدة الشخصية (مسلم/ مسيحي/ يهودي.. إلخ)، مع إمكانية ملاحظة التفاصيل الداخلية ضمن الدين الواحد، عندما يكون ذلك دالاً (سني/ شيعي/ حنفي/ مالكي.. إلخ)، فعلى سبيل المثال تنتمي الشخصيات القيِّمة (شَجَاعةً وخُلُقًا) في نص (مئة ليلة وليلة) في (حديث جزيرة الكافور/ وحديث سليمان بن عبد الملك) تنتمي في معظمها إلى العجم، وتتراجع الشخصية العربية إلى الصف الثاني، إذ يُقر النص بأسبقية ملوك الفرس على ملوك العرب ثم ملوك الترك ومن بعدهما ملوك الهند. (مجهول،2013: 130-138، 166-188)

ولا يخفى ما لهذا المعيار من أهمية تتعلق بإمكانية الكشف عن التحيزات العرقية والدينية التي تخفيها النصوص في أنساقها الثقافية المضمرة، مما يساعد الباحثين على كشف تلك التحيزات والوقوف على آليات تشكلها في الجماعات الثقافية.

الانتماء العرقي والديني	
الانتماء العرقي	عربي بدلالة اسمه ولغته
الانتماء الديني	مسلم الديانة (فحضرتُ المصلّى لأحوزَ فضيلةَ الصلاةِ)

المعيار الثامن

يتعلق المعيار الثامن **بالأفعال الحكائية للشخصيات**، ويهتم بالفعل الذي تؤديه الشخصية ضمن تنامي أحداث الحكاية وتسلسلها، وهو غير الوظيفة الحكائية، وسيأتي بيان الوظائف الحكائية للشخصيات في معيار لاحق، ففي قصة (حي بن يقظان) قام (حي) بعدة أفعال في الحكاية؛ فهو الذي عاش وحيدًا على جزيرة (الواق واق) وتعرف تفاصيل الكون والجزيرة، وهو الذي مد يد العون للحيوانات والنباتات على الجزيرة، وهو الذي ساعد (إبسال) في دعوة الناس في الجزيرة الأخرى إلى تبني رأيهما في طبيعة العبادة، وغير ذلك من أدوار كثيرة قام بها (حي) على الجزيرة وخارجها، فيختص هذا المعيار إذن بتحديد الفعل الذي تقوم به الشخصية ضمن حركة الحكاية، ومدى قدرتها على تحريك الأحداث وتصعيدها.

ولا يخفى ما لهذا المعيار من أهمية؛ لارتباطه بعنصر أساسي من عناصر تنامي الحكاية، ولقدرته على منح الشخصيات وجودا حكائيا من داخل النص لا من خارجه، بحيث يمكن أن يؤدي تراكم الشخصيات والنصوص إلى الخروج بنتائج تتعلق بارتباط أفعال أو أدوار محددة بشخصيات بعينها، فإلى أي مدى مثلا يمكن القول إن (الأسد) يؤدي فعل الملك داخل الغابة، ولاسيما مع نص مثل (النمر والثعلب)، وإلى أي مدى تنسب أفعال الحكمة إلى (كليلة) أو (دمنة) في كتاب ابن المقفع المشهور (كليلة ودمنة).

الأفعال الحكائية	
فعل الشخصية في الحكاية	صحب الإسكندري في البصرة/ لبى دعوة تاجر البصرة/ راقت له المضيرة/ وافق الإسكندري على رفع المضيرة/ كان ممن طلبوا من الإسكندري ذكر حكايته مع المضيرة/ أقر الإسكندري على صنيعه مع المضيرة بعد أن سمع قصته/ ختم الحكاية بمثل يتعلق بحكاية الإسكندري.

المعيار التاسع

يهتم المعيار التاسع ببعد آخر من أبعاد الشخصيات يتعلق **بحجم حضورها** ضمن الأحداث، وحجم اشتراكها فيها، بحيث يحدد فيما إذا كانت الشخصية أساسيةً أو ثانويةً أو هامشية. ويسمح هذا المعيار بالخروج بنتائج تمكن من الحكم فيما إذا كان التراث الحكائي قد تعامل مع شخصية بعينها دائمًا على أنها شخصية رئيسية (عنترة/سندباد..)، أو ثانوية (شيبوب/ ياسمينة..)، أو حتى هامشية (الجني الذي اختطف امرأة ليلة عرسها وحبسها في صندوق في أول حكاية الملك شهريار وأخيه شاه زمان في ألف ليلة وليلة، ومثله المرأة التي حبسها وخرجت من الصندوق) (مجهول،2008: 1/10-11).

حجم حضورها الحكائي	
رئيسية	
ثانوية	
هامشية	

المعيار العاشر

يهتم المعيار العاشر بالبحث عما يميز الشخصيات لغوياً، إن كان هناك ما يُميّزُها على هذا الصعيد، وذلك من جهة فرادة الأسلوب، أو فرادة المصطلحات، أو التعابير، أو الكلمات، أو طبيعة اللغة، ويتضح ذلك من الحوارات التي تشارك بها داخل الحكايات، ويحدد المعيار عدة مستويات لِلغة؛ (الأدبية وغير الأدبية(النفعية)/ العالِمَة والمبتذَلَة/ الفصحى والعامية/ والتعابير المسكوكة)، والخصائص أو الظواهر الأسلوبية للشخصيات، إن وجدت؛ فلغة (زهير ابن نمير) الجني التابع في رسالة (التوابع والزوابع) لغة أدبية عالية، تعتمد الفصحى العالمة في أدائها، يظهر ذلك أول ما يظهر حين أكمل شعر ابن شهيد حين أرتج عليه (ابن شهيد،1996: 89 وما بعد)، وذلك بخلاف الجني والمرأة التي اختطفها اللذين ظهرا للملكين شهريار وشاه زمان أول حكايات ألف ليلة وليلة، فلغتهما أقرب إلى الفصحى المبتذلة.

وفوق ذلك قد تتفرد بعض الشخصيات بجمل أو تعابير لا تكاد تفارقها، فتعرف بها، كما عرفت شهرزاد بقولها في نهاية كل ليلة تشويقًا للملك بما سيأتي: " وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة، إن عشت وأبقاني

الملك" (مجهول،2008: 15/1)[1]، ونحو ذلك مما تختص به بعض الشخصيات من دون بعض. كما يهتم المعيار برصد طبيعة الحوار الذي تمارسه الشخصية؛ للتمييز بين الحوار الداخلي (المونولوج) والحوار الخارجي الذي يقتضي وجود متحاورين آخرين.

ويلبي هذا المعيار شكلاً من أشكال الوجود اللغوي للشخصيات، وهو ما أشار إليه (فيليب هامون) في تطويره الذي أجراه على الوظائف والشخصيات السردية، ولكن ليس بالمعنى الذي قصده هامون من أن التراكم اللغوي للصفات والنعوت المتعلقة بالشخصيات أثناء تنامي الحكاية ومصدر تلك المعلومات سينتج عنه معرفة لغوية تراكمية بالشخصيات (هامون،2013: 48)، بل من جهة أخرى تتعلق باللغة الخاصة التي تنتجها الشخصية نفسها، ومدى الخصوصية الأسلوبية التي قد تكمن فيها.

وتتجلى أهمية هذا المعيار في قدرته على منح الشخصيات خصوصيةً وفرادةً لا نجدها في غيره من المعايير، ولاسيما عند الكلام على شخصيات اختصت بلغة معينة أو بعبارات محددة.

الخصوصية اللغوية	
الحوار (د/خ)	خارجي
فصحى/عامية	فصحى
أدبية/غير أدبية	أدبية
عالمة/مبتذلة	عالمة
خصائص أسلوبية	الإكثار من استخدام المحسنات البديعية، والإلغاز بالشعر

المعيار الحادي عشر

[1] ابتداء من هذا الموضع (الحكاية الأولى) ستكرر شهرزاد جملتها نهايةَ كل حكاية.

يهتم المعيار الحادي عشر **بالوظائف الحكائية** التي تؤديها الشخصيات، وهذا معيار دقيق يحتاج إلى وقفة مطوّلة، وقد استغرق الوصول إلى آلياته الضابطة قدرًا كبيرًا من الزمن ومن العمل التطبيقي، ولبيان ذلك والوقوف على المقصود منه خصصنا له دراسة مستقلة، غير أنه يحسن هنا الإشارة إلى بعض الملاحظات المتعلقة بالوظائف الحكائية للشخصيات في النصوص.

تبنّى المعجم الدوائر السبع الكبرى التي اعتمدها بروب (1895–1970) لتستوعب الوظائف الحكائية الإحدى والثلاثين التي قال بها ابتداءً، وهي (دائرة فعل الشرير/ دائرة فعل الواهب/ دائرة فعل المساعد/ دائرة فعل الأميرة (أو الشيء المطلوب)/ دائرة فعل المرسل/ دائرة فعل البطل/ دائرة فعل البطل المزيف) (بروب،1989: 158–159)، مع الأخذ بعين التقدير التعديلات التي أصابت الوظائف على يد كل من (لوتمان وغريماس وهامون)، ولاسيما إشارة لوتمان إلى البعد الثقافي للوظائف والشخصيات، وإشارة غريماس إلى المنهج العاملي الذي عدّ الشخصيات عاملًا يمكن أن يكون فرديًا أو ممثّلًا بعدة ممثلين، وإشارة هامون إلى (الشخصية–العلامة) والوجود اللغوي للشخصيات.

ويعتمد المعجم تصور بروب للوظائف أساسًا لتصنيف الشخصيات، على الرغم من النماذج المحدّثة التي طرأت على تصنيف الوظائف من بعده، وذلك لأسباب تتعلق بالمنظار الحكائي الذي بنى بروب عليه تصوره للوظائف الحكائية، فأغلب التحديثات التي طرأت من بعده اتصفت بالتعميم إلى الحد الذي يجعل الشخصيات مائعةً بلا ملامح حكائية مميزة؛ فتصنيف غريماس لوظائف الشخصيات ضمن معيارٍ قُطبي ثلاثي الوجوه (الذات–الموضوع/ المرسل–المرسل إليه/ المساعد– والمعارض) . (رولان،1993 : 65) يبدو تصنيفا فضفاضًا يعتمد المنطِقَين التجريدي واللغوي أكثر من اعتماده المنطق الحكائي_ إن صح عده منطقًا؛ فلا معنًى حكائيًّا لتصوُّر الشخصية بين الذات والموضوع، بقدر ما هو معنًى منطقي، ولا معنًى حكائيًا لتموضُع الشخصية بين المرسل والمرسل إليه بقدر ما هو معنى لغوي يتعلق بـ(رسالة) بين مرسل ومستقبل، كما لا يسمح هذا التصنيف بتصور الدور الحكائي للشخصيات داخل صيرورة أحداث الحكاية وتناميها، لأنه تصور ذو ميول لسانية وليس تصوّرًا حكائيًا، وإذا كان غريماس قد حقق من هذا الأنموذج قدرةً على التعميم تتجاوز الخطاب الحكائي إلى أنواع أخرى من الخطابات فإنه خسر في سبيل ذلك الصبغة الحكائية لوظائفه.

على حين يبدو تصنيف بروب أكثر التصاقا بالحكاية؛ فاقتراح بروب **لدائرة الشر**_ على سبيل المثال_ ذو بعد حكائي أصيل، ذلك أن أي حكاية لا تأخذ مشروعية وجودها الحكائي ما لم يطرأ على أحداثها الطبيعية المتوازنة ما يحرفها عن مسارها ويكسر توازنها، لتسوّغ الحكاية لنفسها الاستمرار والتنامي، من أجل العودة بالأحداث إلى توازن جديد يشبه ذاك الذي كان قبل حدوث الانحراف/الكسر الطارئ؛ وهذا التصور الحكائي مبني على قاعدة أساسية في بنية الحكاية ذاتها؛ ذلك أن "كل محكي هو حركة بين توازنين متشابهين إنما غير متماهيين" (تودوروف،1994: 149)، ولا مجال لتصور حكاية بلا انحراف أو كسر يحرك أحداثها، وإلا غدت كلامًا سرديًا نمطيًا لا توتر فيه ولا حكيًا أصلا؛ فوجود "قانون مستقر[أو] قاعدة قائمة: هذا هو الذي يجمّد حركة المحكي" (تودوروف،1994: 150). ولا نجد مثل هذا التصور الحكائي لطبيعة الوظائف عند غريماس.

بقي أن نقوم باختبار مدى ملاءمة وظائف بروب الحكائية للنصوص المعنيّة، من حيث طبيعة الوظائف، وطبيعة المعايير التي اعتُمدت في رصدها؛ لمعرفة وجوه التطابق والاختلاف بينها وبين وظائف الشخصيات في تلك النصوص.

وكان لدينا منذ البداية، تصوّر مفاده إنه مهما كانت النتائج المتعلقة بمدى مواءمة وظائف بروب السردية لنصوص حكائية تراثية كالبخلاء والمقامات يبقى من المهم الإبقاء عليها ضمن المعجم؛ لأنها تشكّل اختبارًا حقيقيًا للفروق الحكائية بين تلك النصوص والبنية الحكائية العامة التي أقام عليها بروب وظائفه، وهذا هو السبب وراء احتفاظنا بوظائف بروب السردية معيارًا من معايير المعجم.

وظائف بروب	
مُعتَدٍ/معتدى عليه	
واهِب	
مُساعِد	
موضوع البحث (البخل)	

بطل	
بطل مُزيّف	
مُوكّل	

وبما أن نتائج الدراسة المستقلة التي قمنا بها مع الباحثة إسلام أبو زيد ستكون هي الفيصل في إمكانية **إضافة أي معيار آخر يتعلق بوظائف حكائية أخرى، قد تقتضيها الطبيعة التجنيسية المغايرة لنصوص المقامات**، تحسن الإشارة هنا إلى أن الدراسة قد قادتنا إلى ضرورة اعتماد وظائف موازية لوظائف بروب، تتفق والطبيعة التجنيسية الخاصة للمقامات التي تميزها عن الحكايات الخرافية التي اعتمدها بروب، ورأينا أنه من الضروري اعتماد معيار الوظائف الجديدة بالإضافة إلى معيار وظائف بروب السردية، وسنثبت جدول الوظائف الجديدة هنا ليكتمل عقد معايير صناعة الجدول في هذا الفصل.

وظائف المقامات	
دائرة الرواية	
دائرة موضوع المقامة	
دائرة الأذى/الشاطر	
دائرة الشك/المكتشف	
دائرة الضحية	

المعيار الثاني عشر

ينظر المعيار الثاني عشر إلى الشخصيات والوظائف من جهة العلامات الثقافية، كلّما كان ذلك ممكنًا، فبعض الوظائف المنوطة بالشخصيات تحمل دلالاتٍ خاصةً داخل الثقافة العربية الإسلامية؛ كأن يُنسب فعل (البخل) والدفاع عنه إلى (مُحدِّث) من رواة الحديث النبوي الشريف، في الوقت الذي يضع فيه علم الجرح والتعديل شروطًا ومعايير صارمةً ودقيقةً على أفعال المحدّثين وصفاتهم حتى يصح عدُّهم محدّثين.(أبو لبابة، 2010 : 41 ـ 169)

وفي السياق نفسه تتصف بعض الشخصيات في الحكايات بحضور ثقافي دال لا يمكن تجاهله داخل المنظومة الثقافية العربية الإسلامية، كأن تحضر شخصية من شخصيات (الصحابة) ذات المكانة الخاصة في المنظومة الإسلامية بطريقة لا تتوافق مع النسق الرسمي للثقافة المركزية داخل تلك المنظومة، وقد تحضر بعض الشخصيات بصفتها رموزاً أو أيقونات دالّة، كـ(النمر والثعلب) في حكاية سهل ابن هارون، أو بعض شخصيات كليلة ودمنة لابن المقفع، وقد تكون شخصياتٍ أيقونيةً واضحة كشخصية (الشيخ/رجل الدين) وما يماثلها.

ويُلبي هذا المعيارُ وجهًا من وجوه البعد الثقافي الذي أشار إليه (لوتمان) في مشروعه المتعلق بالوظائف السردية، إذ تتحرك عنده الشخصيات ضمن نسق ثقافي يشترك فيه النص والمؤلف والمتلقي (بنكراد،2016: 61)، ولذلك لا يمكن تجاهل الدلالات والتحيزات الثقافية[2] لمثل هذه الشخصيات ؛ فالأدوار التي تؤديها في النص ذات تحيّزات دالة داخل الجماعة الثقافية التي ينتمي إليها النص: (الشوّاء/ بائع عطر/ نافخ الكير.. إلخ)، كما أن إحالات بعض الشخصيات تتحيَّز لدوالٍ بعينها: (الحاتمي في البخلاء، عنترة في السيرة الشعبية، علي بن أبي طالب في ملحمة المغازي الموريسكية.. إلخ)؛ ولذلك يبدو من الصعوبة بمكان الحديث عن شخصية أو وظيفة بريئة تمام البراءة من التحيز الثقافي.

البعد الثقافي

[2] ليس المراد من التحيز المعنى القيمي أو الأخلاقي الدال على الانحياز ضد الحقيقة، بل المراد منه التحيز الذي أشار إليه عبد الوهاب المسيري في مشروعه (إشكالية التحيز)؛ فالتحيز عنده "من صميم المعطى الإنساني ومرتبط بإنسانية الإنسان، أي بوجوده ككائن غير طبيعي لا يرد إلى قوانين الطبيعة العامة ولا ينصاع لها. فكل ما هو إنساني يحوي على قدر من التفرد والذاتية ومن ثم التحيّز". المسيري، إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، 1996، ص 19-20.

رمز /أيقونة/إشارة	
الدلالة الثقافية للشخصية	

ختاماً

لابد من الإشارة في ختام هذا العرض المتعلق بالمعايير المقترحة من أجل صناعة معجم للشخصيات السردية في تراثنا الحكائي إلى أننا جربنا هذه المعايير تجربةً أولى على نصوص (بخلاء) الجاحظ ، وكان لهذا التجريب أثر في إغناء كثير من هذه المعايير، ويقوم فريق آخر الآن بتطبيق المعايير على نصوص المقامات، وقد يؤدي بنا هذا الإجراء إلى تطوير المعايير من جديد، بما يلائم الطبيعة التجنيسة الجديدة للنصوص، غير أن المهم هو البدء بصناعة هذا المعجم على النصوص الحكائية السردية في تراثنا العربي عامةً حتى تعم الفائدة المرجوة من إنجازه.

المصادر والمراجع

1. أبو لبابة ، حسين الطاهر صالح (2010). الجرح والتعديل، دار الغرب الإسلامي، تونس.

2. ابن شهيد (1996). **رسالة التوابع والزوابع**، تحقيق: بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت.

3. بروب، فلاديمير (1989). **مورفولوجيا الحكاية الخرافية**، ترجمة: أبو بكر باقادر وأحمد نصر، النادي الأدبي الثقافي، جدة.

4. بنكراد، سعيد (2016). **شخصيات النص السردي**، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة .

5. تودوروف، تزفيتان (1994). **مدخل إلى الأدب العجائبي**، ترجمة: الصديق ، دار شرقيات ، القاهرة.

6. الجاحظ ، عمرو بن بحر (1990). **البخلاء**، تحقيق: طه الحاجري، سلسلة ذخائر العرب 23، دار المعارف ، القاهرة .

7. ديلاهونتي وأخرين، (2014). **قاموس الإحالات الضمنية**، ترجمة: أيمن حلمي وزميليه ، المركز العربي للترجمة، القاهرة.

8. رولات ، بارت (1993). مدخل إلى التحليل البنيوي للقصة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سورية، 1993، ص65. وقد ناقش سعيد بنكراد مفهوم الشخصيات لدى غريماس في فصل كامل من كتابه، ينظر: بنكراد، شخصيات النص السردي، ص75-112.

9. الغرسي، روعة (2019). **معجم الشخصيات السردية في بخلاء الجاحظ**، أطروحة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة قطر.

10. كوفاج، ألبيرت (2017). **معجم شخصيات ديستويفسكي**، ترجمة: ضياء نافع، موقع: www.beider-media.se، دخول: 2020/1/24.

11. مجهول (2013). **مائة ليلة وليلة**، تحقيق: محمود طرشونة، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، (بيت الحكمة).

12. المحروقي، سيف(2010). **نماذج إنسانية في السرد العربي القديم** ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي.

13. المسيري، عبد الوهاب(1996). **إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، أمريكا.

14. هامون، فيليب(2013). **سيميولوجية الشخصيات الروائية**، ترجمة: سعيد بنكراد ، دار الحوار، سوريا.